

الموضوع

مجالات الحسبة في عصرنا الحاضر

( ١٩٢٧/١/١٩ )

إعداد/ د. الهادي الحسين شبيلي

المستشار بإدارة المؤتمرات

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأما بعد؛ فإن الحسبة ولاية من أهم الولايات الدينية ووظيفة من أهم الوظائف التي عرفتتها الحضارة الإسلامية ، ولأهميتها الكبيرة كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها ، وجزيل ثوابها . وهي واسطة بين وظيفة القضاء ، ووظيفة المظالم.

ومدار الحسبة ومهمتها تتمحور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فمن خلال قيامها بهذه المهمة العظيمة حمت المجتمعات الإسلامية من المنكرات على امتداد عصور الحضارة الإسلامية.

وقد واكبت الحسبة المجتمعات الإسلامية في تطورها وازدهارها ولا يكاد يخلو مجال من مجالات الحياة المعروفة آنذاك من وجود محتسبين؛ فالحسبة مثلا كانت حاضرة دوما في مجال النشاط الاقتصادي تعمل على حماية المتعاملين من الربا والغش والغرر وتفرض المنازعات اليومية وتمنع المخالفات الشرعية في الأسواق. وهكذا في كل مجال نجد للحسبة فيه حضور.

وهذا الحضور لوظيفة الحسبة قدم إسهاما حضاريا واضحا من خلال حماية منظومة القيم الإسلامية والمحافظة عليها وصيانة المجتمعات الإسلامية من كل ما لا يتفق مع الدين والأخلاق .

ولعل مجتمعاتنا الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى إحياء وظيفة الحسبة من أجل حماية نفسها من الغش والربا والغرر الذي استفحل أمرها ولم يسلم منها مجال فهي مشاهدة في المعاملات المالية والتجارية والصناعية وغيرها من المجالات.

كما أن الظواهر المشينة التي تأبأها قيم الدين والأخلاق -التي ما فتئت تنتشر بيننا- لا يمكن مكافحتها إلا بالحسبة.

ومما يتوجب التنبيه إليه أن إحياء الحسبة اليوم يتطلب إيجاد شكل تنظيمي مناسب لها ووضع تطبيقات معاصرة لها تلائم هذا العصر؛ لأنه لا يمكن ضمان الاستفادة من وظيفة الحسبة اليوم إلا بإدماجها في إطار العصر.

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الأفكار لعلها تكون حافزا لإثراء موضوع الحسبة.

وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## نبذة موجزة عن تاريخ الحسبة

إن أول من مارس الحسبة في التاريخ الإسلامي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يمشي في الأسواق وينهى عن الغش والتطفيف في الكيل والوزن وسار على دربه أصحابه وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ،وعندما توسعت رقعة الدولة الإسلامية صار يتوجب على ولاية أمور المسلمين تعيين من يروه أهلا للقيام بالحسبة ويمدونه بما يحتاج إليه من الأعوان والوسائل اللازمة لذلك ويفضونه صلاحية البحث عن المنكرات في الأسواق والطرق وفي أماكن تجمعات الناس؛ فيؤدب مرتكبيها ويحذرهم مناقرتها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل منعهم من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها عند المبالغة في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه وليس له إمضاء الحكم في الدعاوي مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها في المكايل والموازين وله أيضا حمل المماطلين على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم يتره القاضي عنها لعمومها وسهولة أغراضها فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير

من الدول الإسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس  
داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة  
السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في أمور السياسة اندرجت في  
وظائف الملك وأفردت بالولاية<sup>١</sup>

## مفهوم الحسبة

الحسبة في اللغة من الاحتساب وهو مصدر من احتسابك الأجر على الله تقول فعلته  
حسبة و احتسب فيه احتسابا و الاحتساب طلب الأجر والاسم الحسبة بالكسر  
وهو الأجر .

و الاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر  
وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها  
طلبا للثواب المرجو منها<sup>٢</sup>

الحسبة بالكسر واحتسبت بالشيء اعتددت به قال الأصمعي وفلان حسن الحسبة في  
الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه وليس هو من احتساب الأجر فإن احتساب الأجر  
فعل لله لا لغيره .<sup>٣</sup>

أما الحسبة في الاصطلاح فقد عرفها الماوردي بأنها :  
أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله . وقال الله تعالى : { ولتكن  
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } .<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> انظر المقدمة لابن خلدون ٢٢٥/١

<sup>٢</sup> انظر مادة حسب في لسان العرب ٣١٣/١

<sup>٣</sup> انظر مادة حسب في المصباح المنير ١٣٤/١

<sup>٤</sup> الأحكام السلطانية ٩٨-٩٩

، وعرفها محمد بن الأخوة القرشي بأنها : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، وإصلاح بين الناس ، قال الله تعالى { : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } .  
واختسب هو : من نصبه الإمام ، أو نائبه للنظر في أحوال الرعية ، والكشف عن أمورهم ومصالحهم .<sup>٥</sup>

**والأدلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي على المنكر كثيرة فمن القرآن الكريم :**

قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } ٦

فهذه الآية خطاب لجميع الأمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس ويؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس وأما قوله كنتم على صيغة الماضي فإنها التي بمعنى الدوام كما قال تعالى وكان الله غفورا رحيمًا . وقال قوم المعنى كنتم في علم الله .

وهذه الخيرية التي خص الله بها هذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله مما جاء في فضل هذه الأمة ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة وفي رواية مسبقون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضى<sup>٧</sup>

<sup>٥</sup> معالم القربة في معالم الحسبة ٨

٦ آل عمران ١١٠

٧ تفسير النعالي ٢٩٩/١

وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى { : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ٨

إن المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن،  
وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح  
مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ رَأَى  
مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،  
وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ". وفي رواية: "وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ  
خَرْدَلٍ" ٩.

وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى { : وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ } ١٠

قال القرطبي: جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين  
المؤمنين والمنافقين فدل على أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر وعلى رأسه الدعوة إلى الإسلام والقتال عليه ثم إن الأمر بالمعروف لا  
يليق بكل أحد وإنما يقوم به السلطان إذ كانت إقامة الحدود إليه والتعزير إلى  
رأيه والحبس والإطلاق له والنفي والتغريب؛ فينصب في كل بلدة رجلا صالحا  
قويا عالما امينا ويأمره بذلك ويمضي الحدود على وجهها من غير زيادة ١١  
وأما الأدلة من السنة فمنها حديث حذيفة .

8 آل عمران ١٠٤

9 تفسير ابن كثير، دار الفكر ط ١ (١٤٠١) هـ - ١٤٨/١

10 التوبة ٧١

11 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق أحمد البردوني ط ٢ - ١٩٧٢ - دار الشعب ، القاهرة ٤/٧٤

فعن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم

قال أبو عيسى هذا حديث حسن حدثنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو بهذا الإسناد نحوه ١٢

ومنها حديث ابن مسعود

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من كان قبلكم كانوا إذا عمل العامل منهم بالخطيئة فهاه الناهي تعذيرا حتى إذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم قال خلف : تأطرونه تقهرونه ١٣

---

12 سنن الترمذي - ح (٢١٦٩) ٤ / ٤٦٨ تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي بيروت

13 المعجم الكبير للطبراني ح (١٠٢٦٨) ١٠ / ١٤٦، تحقيق حمدي السلفي ط ٢ - ١٤٠٤ هـ - مكتبة العلوم والحكم - الموصل

قال ابن حجر الهيتمي في معجم الزوائد: رجاله رجال الصحيح ح (١٢١٥٣)

١٤١٢ ط ٥٣١ / ٧ هـ دار الفكر بيروت



## مجالات الحسبة في عصرنا الحاضر

تتعدد مجالات الحسبة في هذا العصر حسب تعدد مجالات الحياة التي تحتاج إلى حماية مصالح الناس المتعلقة بها ،ويمكن تصنيف أهم هذه المجالات على النحو التالي:

\_ مجال حفظ الشعائر الدينية.

\_ مجال البيئة والمحيط.

\_ مجال النقل والمواصلات.

\_ مجال الصناعة .

\_ مجال الزراعة.

\_ مجال التجارة.

\_ مجال السكن.

\_ مجال الصحة العامة.

\_ مجال الحياة الاجتماعية.

فكل مجال من هذه المجالات يتطلب حمايته من المفسد (المنكرات) وإيجاد مايتعلق به من منافع . (المعروف)

وكما هو معلوم فإن الحسبة في أي مجال من المجالات المذكورة تستلزم أن يكون المحتسب مختصا فيه عالما بما يتعلق به من احتساب ؛فالاحتساب معني بمراقبة جوانب الخلل والقصور وما ينتج عنهما من أضرار ومفاسد تلحق الناس ولا يمكنه ذلك دون معرفة كافية بالمجال الذي يحتسب فيه وما يمكن أن يحدث فيه من اختلال.

وهذا الأمر الذي ذكرت ليس جديدا ؛فقد عرفتة الحسبة منذ صدر الإسلام عندما اتسعت رقعة الدولة وازدهرت الحياة فيها فما من مجال إلا ونجد الحسبة فيه

حاضرة وقد نقلت الكتب التي تحدثت عن الحسبة ما كان يتمتع به جهاز الحسبة من معلومات ومعرفة دقيقة بالمجال الذي يباشر الحسبة فيه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين